حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٦٦) ٢٠١٤/١١/١٦ م

www.al-badeel.org

Issue (166) 16/11/2014

هل من حل روسي؟

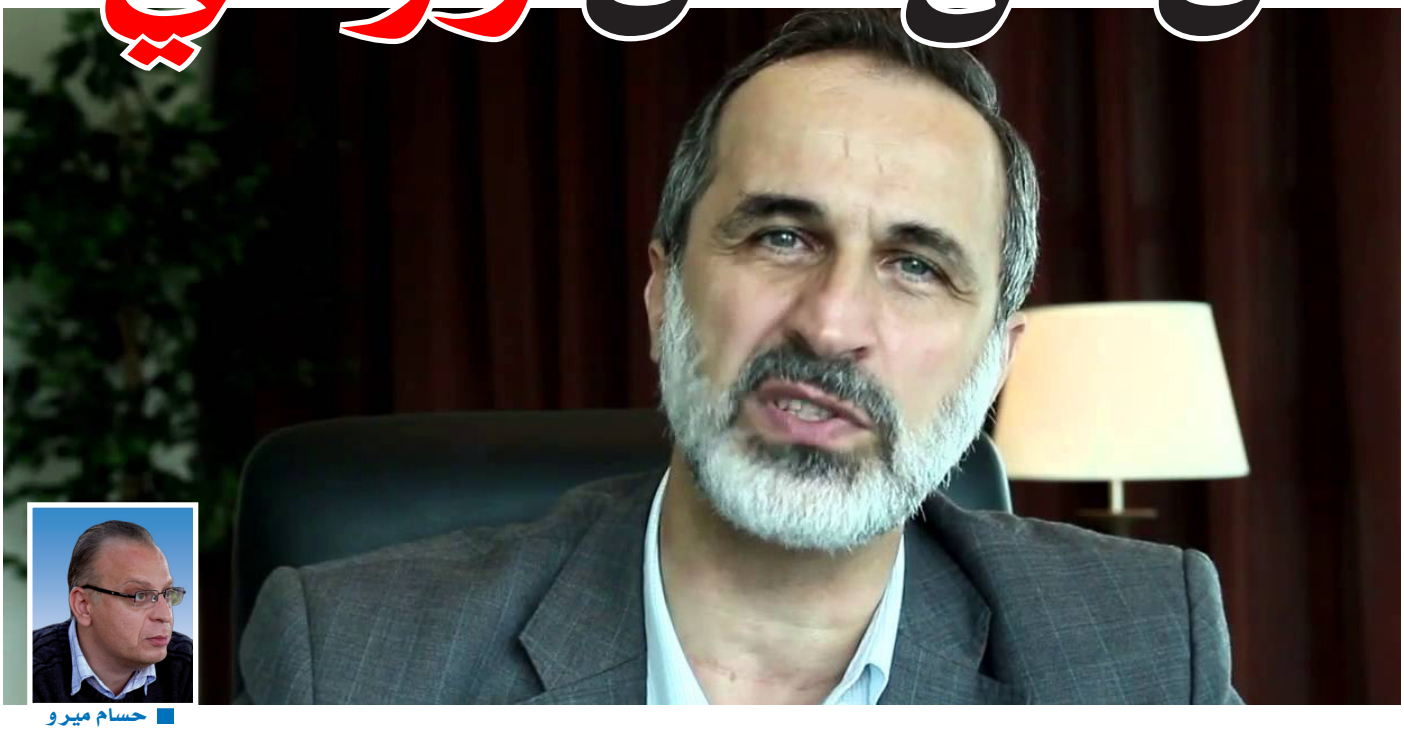

حسام ميرو

طرحت زيارة معاذ الخطيب الرئيس الأسبق للائتلاف الوطني ، الأسبوع الماضي، إلى موسكو، إمكانية أن تلعب روسيا دوراً في تسريع وتيرة الحل السياسي، فهل ستلعب موسكو فعلاً مثل هذا الدور، أم أن الأمر لا يعدو كونه تدويراً لطواحين الهواء؟

عُرف الخطيب بمبادراته التي كانت تقدم في مناسبات دينية، ركّز فيها على منح جوازات سفر للمواطنين السوريين في الخارج، وإطلاق سراح المعتقلين، حتى أنه طالب، مرة، بمناظرة تلفزيونية مع أحد رجالات النظام حتى لو كان بشار الأسد.

ولئن كانت مبادرات الخطيب قد لقيت استنكاراً من سياسيين في الائتلاف الوطني، أو من شرائح سورية عدة، إلا أنه ظلّ مثابراً على طرح فكرة الحل السياسي، كما أكدت مبادراته الفردية على أنه لا يعطي الكثير من الأهمية لعمل المؤسسة التي رأسها سابقاً، والتي تدعي هي نفسها بأنها الممثل الرسمي للثورة السورية.

الحج نحو موسكو في هذه الفترة يأتي في ظل تغيّر أساسي في الساحة السورية، تمثل بالحرب على الإرهاب، وتباين المواقف الإقليمية من هذه الحرب، خاصة الموقف التركي الذي يرى بأن هذه الحرب لا معنى لها إذا لم تستهدف إسقاط بشار الأسد.

ومن المعروف أن العلاقات التركية الروسية هي علاقات تتخللها الكثير من التناقضات، ولهذا فإنه لا يمكن أن تخدم روسيا المصالح التركية، حيث تعتقد موسكو أن تركيا اعتمدت وما زالت على الإسلام السياسي في توسيع نفوذها، كما أن الأصابع التي تشير إلى دور تركي في تقوية تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يعطي تركيا فرصة مهمة للتأثير لاحقاً في الفضاء الجيوسياسي الروسي، وهو ما يهدد المصالح الروسية.

هل تحاول روسيا الالتفاف على مساعي تركيا في أن تكون القوة النافذة في الشمال والشمال الشرقي في سورية؟

في المقاربة الروسية للمسألة السورية احتلت قضية الإرهاب ركناً مهماً، وإذا كانت روسيا قد استُبعدت من الائتلاف الغربي–العربي ضد الإرهاب، فإنها لم تتخلَ ولن تتخلَ عن إعادة تشكيل الوضع السوري من دون هذه المقاربة.

تحرك الخطيب تقف وراءه شخصيات وفعاليات اقتصادية دمشقية، ويعتقد الروس أن الخطيب يمكن أن يكون ممثلاً للسنة المعتدلين في سورية، وتالياً فإنه يمكن أن يحشد لأي حل سياسي رأياً عاماً ضمن قطاعات شعبية ترغب برؤية نهاية قريبة للدمار والقتل والتشريد.

روسيا التي بدت مربكة ومتضررة في الملف الأوكراني ترغب في تحصيل مكاسب في سورية، وملء جزء من الفراغ الذي أحدثته المحاولة الأمريكية للانفكاك عن المنطقة، وعدم منح الأتراك الفرصة للتمدد في الشرق الأوسط، وبهذا فإن الروس يتقاطعون مع قوى إقليمية لا تريد لتركيا أن تلعب دور المظلة للإسلام السني.

الرئيس باراك أوباما يريد فصل الملف العراقي عن السوري، وحشر الجهاديين في سوريا في الشمال والشمال الشرقي، ما يعني فعلياً أن هذه الاستراتيجية لا تتنافى مع المنطق الروسي، فالحل الروسي سيعيد مكانة ومركزية دمشق في القرار السياسي، وإعادة تخليق شرعية حكومة نظام– معارضة من أجل محاربة الجهاديين، وبالتالي فإن روسيا تريد ترتيب معارضة يشترك فيها ممثلون عن "الإسلام السني" وقوى وشخصيات ديمقراطية، وقوى كردية، وشخصيات وطنية واقتصادية.

هل يمكن لهذا الحل أن يمضي، أم أنه مجرد تحقيق سلام ما بعده سلام؟.

إن تركيب أي حل سياسي سيحتاج إلى قوة ميدانية تحمي الشرعية، فمن هي هذه القوة الميدانية؟ وهل هي حزب الله السوري الذي تسعى إيران إلى تشكيله، بعد أن وحدت قيادة الفصائل المدعومة منها؟.

بالطبع، لم يعد "الجيش العربي السوري" قادراً في وضعه الراهن أن يكون القوة العسكرية التي سيستند إليها الوضع السياسي الجديد، وهو ما يعني الحاجة إلى قوة موازية، ما يجعل "حزب الله السوري" يفرض نفسه بوصفه القوة التي تستند إليها الشرعية، مع تحويل القوى والفصائل المسلحة التي سترفض الحل السياسي، بالإضافة إلى "داعش" و"النصرة" المصنفان كتنظيمين إرهابيين، إلى قوى خارجة عن الشرعية.

قد نشهد جنيف 3 أو موسكو 1 ، لكن هذا لا يعني أن السلام سيحل على سورية، وإنما سنكون أمام فصل جديد من إعادة تشكيل الصراع، وضمناً تشكيل التحالفات.

١٥ فصيلاً مسلحاً في الجنوب يدخلون عالم السياسة بعد سيطرة الجهاديين على الشمال

■ خاص «البديل»:

أفادت مصادر من المعارضة المسلحة في "حوران" جنوب سوريا أن 15 جماعة مقاتلة تبنت خطة سياسية، تهدف إلى رسم ملامح المرحلة المقبلة، وأن دخول عالم السياسة يأتي "بعد سيطرة الجهاديين في الشمال السوري، وفشل الائتلاف الوطني في التحول إلى مظلة سياسي' تمثل القوى المقاتلة على الأرض".

وربما، كان من شأن هذه الخطوة هو إعادة تأكيد الجماعات المقاتلة في الجنوب على استقلاليتها عن القوى المتطرفة، بما فيها جبهة النصرة الموجودة في الجنوب السوري، ومحاولة لعب دور أكبر في العلاقة مع الغرب، ومع مستقبل العملية السياسية في سورية.

وإذا كانت واشنطن قد تبنت دعم المعارضة المعتدلة في استراتيجيتها لدحر الإرهاب، فإن مشكلة فرز القوى على الأرض تبقى هي الفيصل في تحديد نجاح هذه المهمة، بحسب مساعدين في الشؤون الاستراتيجية كانوا قد أبلغوا واشنطن أنه من الصعوبة بمكان فرز القوى المعتدلة عن القوى المتطرفة في الشمال والشمال الشرقي في سورية، لكنهم أوصوا بدعم المعارضة في جنوب سورية، كونها أثبتت ابتعادها عن التشدد، وما زالت تركز على محاربة نظام الأسد.

والخطة التي وضعتها الفصائل في الجنوب لا تشمل الأسد، وتؤكد على أن سورية "لجميع أبنائها"، وقد أكد المصدر ل"البديل" أن هذه الخطة عي تعبير عن التزامات سابقة قطعتها القوى المقاتلة في حوران على نفسها، كما أنها تعيد التأكيد على ضرورة طمأنة جميع السوريين، وخاصة الأقليات، والتي باتت تخشى على مصيرها من القوى الإسلامية الراديكالية "بعد كل ما رأته من صور وفيديوهات عن ارتكابات داعش من إعدامات وقتل وقطع رؤوس".

وتتضمن الخطة تحويل القوى المقاتلة إلى قوة أمن مدنية، بحيث تكون مهمتها لاحقاً حماية أمن المناطق التي تسيطر عليها، بما يسمح بعودة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، والحفاظ على مؤسسات الجيش، و حماية كل السوريين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو الثقافية أو العرقية.

ومن المتوقع أن تساعد سيطرة الأردن المحكمة على الحدود في ضبط تسلل الجهادين على خلاف الحدود الشمالية مع تركيا، والتي كانت الممر لعبور آلاف الجهاديين من مختلف دول العالم إلى سورية.

ومن المعروف أن الأردن هو ممر المساعدات المقدمة للمعارضة الجنوبية، حيث يخضع نقل المساعدات لجماعات المعارضة المؤهلة إشراف غرفة عمليات مشتركة بين الدول العربية والدول الغربية.

الأمم المتحدة: قادة الدولة الإسلامية عرضة للملاحقة بتهم جرائم حرب

■ جنيف (رويترز):

قال محققو الأمم المتحدة، يوم الجمعة الماضي، إن قادة تنظيم الدولة الإسلامية عرضة للملاحقة القضائية، لارتكاب جرائم حرب على "نطاق هائل" في شمال شرق سورية، حيث بثوا الرعب بعمليات الإعدام والرجم وإطلاق النار على المدنيين والمقاتلين الأسرى.

وطالب الخبراء القوى الدولية بالعمل على ضمان محاسبة القادة المدانين بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية أمام المحكمة الجنائية الدولية.

ويستند أحدث تقرير لمحققي الأمم المتحدة المستقلين إلى مقابلات أجروها مع أكثر من 300 رجل وامرأة وطفل فروا أو مازالوا يعيشون في معاقل للدولة الإسلامية في شمال شرق سوريا منها حلب.

وقال التقرير "بتنفيذ عمليات قتل جماعي للمقاتلين الأسرى والمدنيين بعد الهجمات العسكرية ارتكب اعضاء داعش (الدولة الإسلامية) انتهاكات فظيعة للقانون الدولي الإنساني الملزم وجرائم حرب من خلال عمليات قتل على نطاق واسع."

وأضاف التقرير أن المقاتلين الاجانب الذين يتم تجنيدهم من خلال تسجيلات مصورة عنيفة عززوا صفوف التنظيم، وهيمنوا على تشكيله القيادي.

وكان تقرير منفصل للأمم المتحدة قال إن 15 ألف أجنبي ذهبوا للقتال في سوريا والعراق.

وقال التقرير "لقد أقدم قادة داعش على هذه الأفعال بمحض إرادتهم وارتكبوا جرائم الحرب هذه...وكل فرد منهم يتحمل المسؤولية الجنائية"، وأضاف أن أبي بكر البغدادي زعيم التنظيم يملك "سلطة مطلقة".

وقال باولو بينيرو الذي ترأس لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة في مؤتمر صحفي إن النتائج التي توصلت إليها اللجنة ستضاف إلى قائمة سرية للمتهمين بارتكاب جرائم حرب من كل أطراف الحرب الأهلية السورية التي قتل فيها حوالي 200 ألف شخص منذ مارس آذار عام 2011.

وأوضح التقرير أنه منذ بدأت الضربات الجوية التي تقودها الولايات المتحدة في استهداف الدولة الإسلامية في سوريا في أواخر سبتمبر/ أيلول بدأ مقاتلو الدولة الإسلامية في اتخاذ مواقعهم في منازل المدنيين والمزارع، مما أدى إلى وقوع خسائر في صفوف المدنيين.

وكشف التقرير أن تنظيم الدولة الإسلامية يحرم أيضا 600 ألف شخص في الشمال من المواد الغذائية والمساعدات الطبية ويفرض تفسيره المتطرف للشريعة الإسلامية من خلال شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتأمر شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجلد وقطع اليد لسلوكيات وافعال منها التدخين والسرقة وقد قطعت رأس طبيبة أسنان في دير الزور لأنها تعالج المرضى من الجنسين.

وقال التقرير "داعش ذبحت وأطلقت الرصاص ورجمت الرجال والنساء والاطفال علنا في البلدات والقرى في شتى انحاء شمال شرق سوريا".

بعد استهدافه من قوات التحالف

مصير البغدادي ودولته في مرمى الاحتمالات

عصام عطا الله

تضاربت الأنباء حول إصابة أبي بكر البغدادي في الغارة الأمريكية التي استهدفت اجتماعاً على مستوى القيادة للتنظيم. بعض الأنباء قالت إن إصابته خفيفة، وآخرون قالوا وأكدوا مقتله، وهناك من قال إن إصابة البغدادي خطيرة، وقد تعيقه عن ممارسة مهامه كخليفة للمسلمين، ويرى محللون أن تغريدة العدناني تشي بصدقية الاحتمال الثالث ورجحانه على الاحتمالين الأولين، وقد تفاوتت ردود الفعل في الشارع الخاضع لسيطرة التنظيم، وبين أعضاء التنظيم أيضاً، فالسواد الأعظم من السوريين لم يكترث بهذا الخبر لأنه لم يكترث بداية بخلافة البغدادي، وبدولته أصلاً، يقول أبو رشيد عامل عادي: "ماذا استفدنا من إعلان الخلافة سوى عداء العالم للثورة السورية، ونسيانه مجازر الأسد، وتشديد التنظيم قمعه وقبضته الأمنية على الناس، فهذا الإعلان لم يجلب أي خير يمكن أن نذكره".

ولكن تأكيد خبر الإصابة سيترك أثراً كبيراً في صفوف التنظيم، فمنصب الخليفة عند أعضاء التنظيم له هالة دينية، ونوع من القداسة والهيبة في نفوس المنتسبين، يقول أبو قتيبة الأنصاري: "الخلافة واجب على المسلمين، فهي التي توحد المسلمين وتحفظ لهم كرامتهم وعزتهم، وهي السبيل لإقامة شرع الله". فالخلافة عند أعضاء التنظيم ليست مجرد منصب سياسي، كما تفاوتت ردود الفعل باختلاف النظرة للبغدادي، فما زال قسم كبير من السوريين يعتقد أنه شخصية وهمية، وأن التنظيم يدار من قبل أجهزة سرية، يقول معتز – محامي: " لا أعتقد أن الشخص الذي ظهر في الخطبة المشهورة هو البغدادي، وأعتقد أنه شخصية وهمية، فالتنظيم سري ومن ظهر في الشريط قدم للجمهور لمنح الشرعية لدولتهم، فلا يمكن لقادة التنظيم أن يكشفوا أنفسهم، فالأقمار الصناعية وطائرات التجسس تراقب المناطق الخاضعة للتنظيم".

أما أعضاء التنظيم فيؤمنون بوجود البغدادي ودوره بالقيادة، بل يشيدون بحكمته وشجاعته، ونسبه الشريف المتصل بالنبي محمد، ويصل الأمر لتشبيه أبي بكر البغدادي بأبي بكر الصديق فكلاهما جمع الأمة بعد تفرق شملها، وكلاهما ضرب أعناق المرتدين بالسيف، وكلاهما جيّش الجيوش لمحاربة قوى الكفر والطغيان العالمي، يتابع أبو قتيبة الأنصاري: " أمير المؤمنين حاز على ثقة أهل الحل والعقد من المجاهدين، وقد تمكن من توجيه ضربات مؤلمة لأعداء الإسلام، وما زالت البلاد تفتح، وكان صارماً وحازماً تجاه المرتدين الذين والوا أصحاب الصليب ". وقد حاول البغدادي تكريس هذه الصورة من خلال اقتباس كلمات الخليفة الراشدي في خطاباته، ومن خلال تكنيه بأبي بكر، وكان لذلك وقع السحر على عناصره، يقول الأستاذ نبيل علم نفس: "من يتتبع خطبة البغدادي يلحظ بشكل واضح اقتباسات البغدادي من خطبة الخليفة الراشدي الأول، فهو يدرك أن تلك الفترة الزاهية من التاريخ الإسلامي يتطلع الجميع لإعادتها، والبغدادي بهذا الاستلهام يحاول إقناع أنصاره أن خلافته إعادة لأمجاد الخلافة الراشدة".

وتختلف ردود قادة التنظيم عن العناصر، فالقادة يفصلون بين منصب الخلافة والخليفة، فالقدسية للخلافة لا للخليفة، فهم يعتقدون أن السياسة العامة للدولة الإسلامية تقرر من قبل مجلس شورى المجاهدين الذي يُعين الخليفة، ويعزله أيضاً إن اقتضت الضرورة ذلك، يقول القيادي أبو همام الأنصاري: "قامت دولة الخلافة الإسلامية للقضاء على الطواغيت بمختلف أنواعهم لا لصنع طاغوت جديد، فأمير المؤمنين رجل حمل عبء مسؤولية كبيرة، ومهمته تنحصر في إدارة بلاد المسلمين، وإن أخطأ قوم أهل الشورى خطأه، وقد قال: أطيعوني ما أطعت الله فيكم".

ومن المحتمل أن يأخذ الخبر منحيين لدى العناصر، فمنهم من سيزداد إيماناً بالتنظيم لأنه غير مرتبط بشخص، ولا يخضع لنزوات فرد، يقول أبو قتيبة: "لم نعد تنظيماً فنحن دولة، والدول لا تنهار بموت القادة، وإذا استشهد البغدادي أو قبضه الله فإن ذلك لن يؤثر على مسيرة الجهاد، فنحن لم نخرج من أجل البغدادي، نحن خرجنا في سبيل الله، والمجاهدون سيزدادون إيماناً، فقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم لكن دولة الإسلام امتدت زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتوفي أبو بكر ليخلفه عمر رضي الله عنه ليفتح الله على يديه الشرق والغرب"، وهناك فئة ستصاب بالرعب والخوف، وتخشى من تفكك التنظيم وحصول صراعات داخلية، وهذه الفئة دخلت للتنظيم بحثاً عن مكاسب ومصالح تحققها ولا سيما بعد سيطرة التنظيم على موارد مالية ضخمة، فقد تضاعفت أعداد التنظيم في فترة وجيزة جداً، يقول المحامي معتز: "كثير من الذين انتسبوا للتنظيم مؤخراً لا يؤمنون بفكر التنظيم، وكانت المصلحة وراء انتسابهم، فالتنظيم يقدم رواتب جيدة، فضلاً عن كثير من المزايا، وهؤلاء سيتركون التنظيم عند أول إشارة لانهيار التنظيم أو تفككه".

وقد استثمر الإعلام هذا الخبر وبدأت وسائل الإعلام توجه الخبر وفق رؤيتها الإعلامية، وقد انعكست هذه الشائعات والتحليلات على الشارع وعناصر التنظيم معاً، فسرت في الشارع شائعة بأن البغدادي لم يصب بالغارة ولم يكن موجوداً أصلاً مكان القصف، وأن مجلس الشورى قرر عزله بسبب إدارته الفاشلة لكثير من الملفات ومنها ملف عين العرب، فالتنظيم لم يحقق النصر السريع الذي وعد به رغم خسارته 600 من خيرة مقاتليه، فكان لزاماً على مجلس الشورى عزله، يقول خالد صاحب مكتب عقارات: "سمعت من أعضاء التنظيم أن مجلس الشورى سيجتمع لمناقشة أداء الخليفة خلال الفترة السابقة، وأن هناك استياءً كبيراً من طريقة إدارة المعارك ولا سيما عين العرب، فقد خسر التنظيم كثيراً من المعارك".

غير أن الغالبية ترى أن مقتل البغدادي أو إصابته لن يغير من الأمر شيئاً، فالتنظيم يدار من نواة صلبة لا يعرف أحد عن حقيقتها وعدد أفرادها ومهامها شيئاً، والبغدادي مجرد واجهة شكلية، فهذه النواة الصلبة هي التي تدير المعارك العسكرية وتخطط لها، بل هي التي ترسم الخطوط العريضة للتنظيم، يقول مروان قائد كتيبة سابق في الجيش الحر: "التنظيم يدار من خلية ضيقة جداً، وكل ما يتداوله الإعلام مجرد تكهنات، فقادة كتائب وأمراء في التنظيم لا يعرفون القادة الكبار للتنظيم، وهذا ما يترك إشارات استفهام كثيرة حول حقيقة التنظيم، فانتقاله لمرحلة الدولة لم يغير شيئاً من حقيقته، فالاعتقالات وعمليات الخطف ما زالت تمارس بأسلوب العصابات والتنظيمات السرية".

يرى المتابعون لمسيرة التنظيم أن مقتل البغدادي أو تغييره لن يؤدي لتغيير في استراتيجية التنظيم، ولكن ذلك لن يمنع من بصمات للخليفة الجديد الذي سيحاول إبراز شخصيته، وتلميع صورة التنظيم، وجعله أكثر قبولاً في الشارع الذي لم يتقبله حتى الآن.

تثبيت معادلة اللاسلم واللاحرب

فيكتوريوس بيان شمس

دخل "حزب الله" اللبناني معادلة الصراع مع العدو الإسرائيلي في ثمانينيات القرن الماضي بعد أن خاض معارك ضارية مع فصائل لبنانية أخرى تشاركه نفس المعتقد والتوجّه، ليبرز بعد "اتفاق الطائف" 1989 كقوة حقيقية على الجبهة، بعد ما استطاع احتكارها منفرداً، ليصبح فيما بعد صاحب قرار الحرب والسلم في لبنان. معظم فصائل المقاومة التي سبقته وحقّقت إنجازات لا تقل من حيث الأهمية عن إنجازاته، فصائل يسارية متنوعة. إلا أن المعادلات كانت قد تغيّرت بعد توقيع اتّفاق الطائف الذي يعبر عن الصيغة الجديدة لقواعد "العيش المشترك".

استطاع "حزب الله" بفائض القوة التي امتلكها قبل "الطائف" وبعده، وبدعم كبير من النظامين السوري والإيراني، نسف هذا الاتفاق، ليأتي تدخّله في سوريا بمرحلة لاحقة بمثابة الرصاصة على مرحلة كاملة من محاولات العيش المشترك في لبنان.

ففي باب "المبادئ العامة" الفقرة "ي"، يعتبر اتّفاق الطائف أن "لا شرعية لأي سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك". ومن البديهي أن الانقسام الحاصل منذ اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري ترك انعكاساته على كامل الحياة السياسية، وبيّن التباينات والاختلافات في الرؤى على أدق التفاصيل في الحياة العامة اللبنانية، وهذا بالضبط ما أجبر الحكومة اللبنانية على النأي بنفسها عمّا يجري في سوريا، فكان نأيها، واستمرار "حزب الله" بالتدخّل في سوريا في مخالفة صريحة لميثاق العيش المشترك سواء في الفقرة المذكورة أعلاه، أو حتى في الفقرة الرابعة والأخيرة من "الطائف" والتي تنص على "إن لبنان الذي هو عربي الانتماء والهوية، تربطه علاقات أخوية صادقة بجميع الدول العربية، وتقوم بينه وبين سوريا علاقات مميزة تستمد قوتها من جذور القربى والتاريخ والمصالح الأخوية المشتركة، وهو مفهوم يرتكز عليه التنسيق والتعاون بين البلدين وسوف تجسده اتفاقات بينهما في شتى المجالات، بما يحقق مصلحة البلدين الشقيقين في إطار سيادة واستقلال كل منهما. استناداً إلى ذلك، ولأن تثبيت قواعد الأمن يوفر المناخ المطلوب لتنمية هذه الروابط المتميزة، فإنه يقتضي عدم جعل لبنان مصدر تهديد لأمن سوريا وسوريا لأمن لبنان في أي حال من الأحوال."

لم تتوقف مخالفات "حزب الله" عند هذا الحد، بل تعدّته إلى مخالفة قاعدة "حصرية السلاح" بيد الجيش وقوى الأمن، والتي استثنت سلاح المقاومة، شرط تحديد وجهته نحو العدو الصهيوني، ليستخدمه "حزب الله" في سابقة خطيرة من نوعها، ولأول مرة في 7 أيار 2008 في الداخل ضد شركائه في الوطن، بعد القرارات التي اتّخذتها الحكومة آنذاك بإقالة العميد وفيق شقير قائد أمن مطار بيروت، ومصادرة شبكة اتصالات الحزب.

كانت هذه الحادثة مفصلاً أساسياً في حالة الانقسام اللبناني بعد اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري 2005، وما تبعها من تطبيق للقرار الدولي (1559) القاضي بخروج القوات السوري، وهو ما تم في أواخر نيسان 2005 بشكل مذل، بعد تواجد دام قرابة ثلاثين عاماً. إضافة لتوريط هذا الحزب للبنان في حرب 2006 بعد خطفه جنديين "إسرائيليين"، ليعترف فيما بعد أمينه العام، أنّه: "لو كنت أعلم أن ردّة فعل اسرائيل ستكون بهذا العنف لما كنت خطفت جنودها".

أصبح "حزب الله" محل جدال وخلاف، والأخطر أنه وضع مبدأ المقاومة بحد ذاته على بساط البحث، بعد أن كان من المسلّمات التي لا يجرؤ حتى مناهضوه على الإعلان عن آرائهم به.

جاءت الثورة السورية لتربك "حزب الله" صاحب الإرث المقاوم في البداية، والذي ما إن وجد الحجج، حتى دخل الحرب من أوسع أبوابها. ليس غريباً هنا، أن تتراوح ذرائع الحزب بين حماية ظهر المقاومة تارة، وحماية المقدّسات والقرى الشيعية تارة أخرى. مع أن الشعب السوري كان أكثر الشعوب تعاطفاً معه في كل المراحل القاسية التي مر بها، فقط لأنه حزب مقاوم.

لم يعترف الحزب بارتكاب أي خطأ، حتى وإن كان خطأ ميدانياً تفصيلياً، ناهيك عن الأخطاء السياسية الكبيرة التي تبدأ بتغيير وجهة السلاح، ولا تنتهي بالالتباس الحاصل في الموقف من "إسرائيل". لم يأخذ في بداية الأحداث تصريح رامي مخلوف، ابن خال رئيس الجمهورية، وواجهة النظام المافيوية بعين الاعتبار عندما اعتبر في 11 أيار 2011 أن: "أمن اسرائيل من أمن سوريا". لتُكشف فيما بعد حقائق أمرّ وأدهى، خاصة بعد ما كشفته صحيفة "الشرق الأوسط" في عددها (12895) الصادر في 19 آذار 2014، والذي سرّبت فيه محضر اجتماع لحسن نصرالله مع نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف، الذي نقل لنصرالله خوف "اسرائيل" من انطلاق أي عمل عدائي ضدها من جنوب لبنان، ليطمئنه نصرالله: "إن حدود لبنان الأهدأ والحزب مهتم بسوريا".

طرح ذلك العديد من الأسئلة التي قد تجد إجاباتها في تصريح نائب وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان الذي صرّح لوكالة "فارس" الإيرانية في 11 تشرين الأول 2014: "أن بلاده حذرت أمريكا وباقي دول التحالف الدولي ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش)، بأن سقوط النظام السوري سيشكل خطرا على أمن إسرائيل."

وهو ما يطرح السؤال الأهم: ما الذي بقي من المقاومة في خطاب هذا المحور؟.

لكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن الحزب ومن معه يعملون لصالح العدو، بقدر ما يعني أن بقاء معادلة الصراع معه قائمة، هي الأكثر ضماناً لاستمرارهم في الهيمنة على المنطقة، وهي معادلة بالغة الدقّة، فزوال "إسرائيل"، أو الاعتراف بها، يشكلان خطراً، إذ ينفيان ذرائع هيمنته. وهو ما يعني محاولات هذا المحور إعادة انتاج نفس المعادلة، لكن بظروف أخرى مختلفة تماماً.

الأكيد حتى الآن، أن نتائج معركة النظام وحلفاؤه "الطائفيين" مع الشعب السوري التي مازالت تساهم في تثبيت معادلة "اللاحرب واللاسلم"، ستحدّد في مآلاتها الأخيرة مصير "حزب الله"، بذات القدر الذي ستحدّد فيه طبيعة الصراع مع العدو.

انفراط رأس الهرم العسكري في العراق...الدوافع والأسباب

موسى القلاب*

عندما أصدر رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، بصفته القائد العام للقوات المسلحة، أوامره بإعفاء 26 قائداً من مناصبهم القيادية العسكرية، وإحالة 10 قادة إلى التقاعد وتعيين 18 قائداً في مناصب جديدة بوزارة الدفاع، إنما خطا الخطوة الاولى في رحلة الألف ميل الشاقة في تاريخ العراق الحديث، وذلك بعد انهيار الجيش العراقي الجديد أمام قوات الدولة الإسلامية " داعش" في محافظات الأنبار ونينوى وصلاح الدين.

يُذكر أن من ضمن المعفيين في عملية إعادة الهيكلة هذه، قائد عمليات بغداد، وقائد عمليات الأنبار، وقائد الفرات الأوسط، ورئيس أركان الجيش الفريق بابكر زيباري الذي استبدل بالفريق الركن خورشيد رشيد، وتعيين الفريق الركن رياض القطيري قائداً للقوات البرية. جاءت عملية استبدال قيادات عسكرية عليا بقيادات جديدة بسهولة، لعلها تكون قادرةً على التكيف مع الظروف والمستجدات الجارية، والالتزام بالمسؤوليات الجديدة، بحيث تتوافق مع التطلعات الاستراتيجية للقيادة السياسية العُليا، بعد الاندحار المشين أمام "داعش".

جاءت هذه التغييرات الأخيرة بعد مخاض عسير بهدف تعزيز عمل المؤسسة العسكرية على أسس مهنية ومحاربة الفساد بمختلف أشكاله ورموزه. تعني هذه الخطوة الجريئة والملحَّة انفراط رأس الهرم العسكري في العراق، على أمل إكمال ما تبقى من إصلاحات وبناء في الجسم الرئيسي للجيش، خصوصاً القيادات المتوسطة والدنيا من القادة والضباط في وقتٍ لاحق.

أما إعادة بناء وتنظيم وتسليح وتدريب القاعدة العريضة للجيش والمؤلفة من ضباط صف وأفراد، فإنها مهمة صعبة للغاية، اذْ لا يمكن الاستغناء عن كتائب وألوية وربما فرق مقاتلة في فترةٍ قصيرة، مهما كانت مستوياتهم وانتماءاتهم الطائفية متردية، ولا تنتمي إلى جيش ذو عقيدة قتالية وطنية تحمي عراقاً موحداً، في مثل هذه الظروف الداخلية والإقليمية الصعبة.

لعلّ الرؤيا كانت واضحةً لدى العبادي الذي أكد في وقت سابق أن: "القيادة العسكرية يجب أن تتمتع بالكفاءة والنزاهة والشجاعة، حتى يقاتل الجندي بشكل صحيح حين يرى قائده يتمتع بهذه الصفات، كما أن التقييم في بناء القوات المسلحة يجب أن يكون قائماً على هذه الأسس الجوهرية".

وهذا يعني أن بقاء الجيش العراقي على وضعه المهلهل الضعيف فترةً أطول، يعني انهيار العراق وتفككه. فلم يكن من خيار آخر سوى إصلاح الجيش وبنائه من جديد على أسس علمية ومهنية، وإلا فإن مصيراً أسود ينتظر العراق برمته لأجلٍ طويل، وقد لا يعود مرةً أخرى كياناً موحداً كما كان خلال القرن الماضي.

لقد ذكر العبادي بثقة مطلقة، خلال لقائه عدداً من القادة العسكريين من مختلف الصنوف بمكتبه: " أن ما تعرّض له الجيش كان نتيجة لتعقيدات كثيرة داخلية وخارجية وسياسية، ويجب علينا إعادة الثقة بقواتنا المسلحة عبر اتخاذ إجراءات حقيقية ومحاربة الفساد على صعيد الفرد والمؤسسة ونحن سنكون داعمين بكل قوة لهذا التوجه الذي يجب العمل به في أقرب وقت ممكن، خاصة وأن المؤسسة العسكرية تحظى بدعم سياسي وشعبي واسعين، إضافة إلى دعم المرجعية الدينية العليا".

يبدو أن العبادي اليوم في بداية طريق طويل، وانطلق من محطة البداية لخارطة طريق صعبة وملتوية، قد يصطدم فيها مع عتاة المحاصصة الطائفية والعرقية، بعد أن استمرأوا الفساد وسرقة الملايين على حساب وطنهم، والذين لن يهون عليهم الإطاحة بأحلامهم الوردية بين عشيةٍ وضحاها، وبجرة قلم هكذا.

لقد تأسس الجيش العراقي السابق المنحل، قبل إنشاء الدولة العراقية بعدة أشهر في بداية العشرينات من القرن العشرين. وكان تدريبه منصباً في بداية المراحل الأولى على حماية البلاد والمحافظة على أمنها واستقرارها. إلا أن أخطاء سياسية متكررة حرفته عن مهامه الأساسية وعقيدته القتالية، عندما حوَّلته إلى جيشٍ مسيَّس على حساب المهنية العسكرية. فحصل ما حصل نتيجةً لقرارات عليا متهورة، كانت كارثيةً ليس على العراق فحسب، بل على المنطقة العربية برمتها، وذلك عندما جرى احتلال دولة الكويت في عام 1990.

لا أحد داخل وخارج العراق يجهل أو ينكر السبب الرئيس وهو "الطائفية والفساد"، في فشل المؤسسة العسكرية والأجهزة الأمنية في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" الذي استولى منذ يونيو 2014 على مناطق واسعة شمال وغرب البلاد، محتلاً الموصل والأنبار وعدد من المناطق الأخرى، حيث انسحب الضباط والجنود من مواقعهم تاركين خلفهم كميات كبيرة من الأسلحة بينها مدافع ومدرعات وقعت غنيمةً مجانيةً بلا ثمن بأيدي مقاتلي التنظيم. ثمة ومضة ضوء سُلطت على جزء بسيط من ظلمة الموقف المهين لقادة الجيش، من قبل اللجنة البرلمانية المكلفة بالتحقيق في "مجزرة الصقلاوية والسجر" في محافظة الأنبار غربي العراق، وأوصت بإحالة ضباط كبار بالجيش إلى المحاكم العسكرية بسبب "تقصيرهم الذي تسبب في إهدار دماء العراقيين".

لقد وقعت المجزرة المقصودة في سبتمبر الماضي بمحافظة الأنبار وراح ضحيتها 66 جندياً بين قتيل وجريح، فضلاً عن خطف 85 آخرين على يد تنظيم الدولة الإسلامية، ناهيك عما جرى لبعض عشائر الأنبار ونينوى من قتل وسفك دماء من قبل "داعش"، فكان مصيرهم الخذلان والإهمال، كمصير الصحوات في الأعوام السابقة بعيد انسحاب الجيش الامريكي من العراق في عام 2011.

يرى خبراء كثيرون أن القوات العراقية تعاني نقصاً كبيراً في مجالي التدريب والتجهيز، ما يحد من قدرتها على تحرير بعض المناطق التي يسيطر عليها تنظيم الدولة، ومنها مدن رئيسية أبرزها الموصل، ثاني كبرى المدن العراقية بعد العاصمة بغداد.

هنالك تحدٍ جديد في العاصمة بغداد، يتمثل بسحب وحدات الجيش الذي يتبع وزارة الدفاع، وإناطة أمنها بقوات الأمن العام التي تتبع وزير الداخلية. فهل تنجح خطة العبادي في إعادة هيكلة الجيش وبعد ذلك قوات الأمن، أم أنها ستتحطم على صخور العناد الطائفي البغيض في العراق؟

*عميد(م) وباحث استشاري في مركز الشرق للبحوث – دبي

هل للدواعش علاقة بالدين الإسلامي؟

ياسر بدوي

مع ظهور جبهة النصرة و"داعش"، بدأت تطلق عبارات التكفير دون أي تفكير بحجم مخاطرها وآثارها على الثورة السورية، وعلى الإسلام ذاته، وعلى المنطق و الثقافة و المجتمع، وكانت قبل ذلك في الغرف المغلقة، ويعود الجذر العلني لهذه الدعوات التكفيرية إلى أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة عندما كفر النصارى، في تناقض صارخ للنص الديني، ومنزل القرآن.

في الإسلام، يتنافى المنطق والعدالة وشرع الله مع التعميم والإطلاق في الأحكام، ولو قرأنا قراءة عاجلة في القرآن الكريم عن أهل الكتاب وقضية التكفير التي يمارسها قطاع من المسلمين فإننا بأن الكتاب يميز بين فرقائهم وفرقهم ومذاهبهم مستخدماً صيغ التبعيض (من أهل الكتاب، طائفة من أهل الكتاب)، كما في (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قيلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب) آل عمران 199

وعن اليهود قتلة الأنبياء ،الذين هم أشد عداوة للمؤمنين والذين لعنهم الله لخروجهم عن شريعة موسى ، وتحالفهم مع الوثنية العربية، ضد التوحيد الإسلامي، لم يعمم القرآن الأحكام عليهم جميعاً ، وإنما ميز بين فرقائهم (ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون × ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين × وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين) آل عمران 112_ 115 القرآن الكريم يبدأ الحديث عن أهل الكتاب مقروناً بحسن الظن، ورجاء الخير من جانبهم، وانتظار عونهم في مواجهة عبدة الأصنام الذين لا يؤمنون بالله، فإذا كذب الوثنين التوحيد وخاصموا صاحبه فإن اليهود والنصارى لن يفعلوا ذلك، بل وصدق نفراً منهم الرسول محمد (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون × الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون × وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) القصص 51–53

وحتى بعض اليهود والنصارى والمتعصبين ضد الإسلام وتحاملوا على نبيه ودعوته وتجهموا عند انتشار الرسالة المحمدية، كان الموقف منهم حسب (أوامر الله) التعامل بالحوار و الإقناع الحسن.

(منهم ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) العنكبوت 46 والذين وقفوا في جبهة واحدة مع الوثنيين يعترضون للدين الجديد ويرفضون مهادنته ولا يأذنون له بالمرور وتمنوا لصاحبه أن يرتد عن إيمانه الجديد إلى جاهلية القديمة (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره).

ومن أهل الكتاب مؤمنون حسب الإقرار الرباني في القرآن (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما)النساء 162

(ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون× وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا من الشاهدين × وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق × فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك جزاء المحسنين)المائدة 82–85–84–83

وبعد: هل يجوز تكفير أهل الكتاب، وقد وصفهم تعالى في النص بالمؤمنين ووعدهم بجنات تجري من تحتها الأنهار، وسيؤتي بعضهم أجراً عظيما، ويعلمنا أنهم ليسوا سواء، والسيئين منهم يجب مجادلتهم بالتي هي أحسن.

يتخذ المكفرون، اليوم على الساحة السورية، من حديث رواه البخاري ملتبس في معناه (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) مستنداً لهم في التكفير، وتترجم كلمة الناس في غير معناها الحقيقي، فيقول هؤلاء أن المقصود أهل الكتاب لأنهم ثلثوا فأشركوا وهنا ندخل في كهوف مظلمة ومتاهات كبيرة، ولابد من إيضاح أن المقصود بالناس هنا الكفار والوثنيين الأشرار، وينسى هؤلاء أن رسول الله ألحق المجوس بأهل الكتاب، وحسب أهل العلم المقصود بالحديث مشركي العرب الذين ضنوا على الإسلام وأهله بحق الحياة، ولم يحترموا معاهدة مبرمة ولا موقفاً مأخوذا، وقد منح هؤلاء أربعة أشهر يراجعون أنفسهم ويصححون موقفهم فإن أبوا إلا القضاء على الإسلام وجب القضاء عليهم، وقد فصلت سورة براءة هذه القضية في أوائلها (إلا الذين عاهدتهم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم) التوبة 4 أما مسألة التكفير فهذه قضية واسعة، ولكن حسب منهج ابن تيمية شيخ الإسلام فإن مسألة التكفير كغيرها من مسائل الشرع لا يجوز للجاهل غير العالم التكلم بها . إن عدم ضبط مسألة التكفير وعدم معرفة قواعده وضوابطه أدى إلى الإفراط في التكفير، فالجهل بهذه المسألة خطره عظيم على الأمة والدين.

إن معرفة مسألة التكفير من أهم المسائل التي تجمع شتات الأمة وتجعلهم يحكمون من أجل العدل والإنصاف في أقوالهم ، تاريخياً كان أعظم سبب في تعطيل الشرع هم الخوارج، فكان لتجرئهم على مسألة التكفير، تكفير الصحابة، وهؤلاء هم الذين يقرؤون القرآن ويحسبونه لهم وهو عليهم، يشترط فهم حالات التكفير والمعرفة بالإحكام الشرعية يشترط الكفر البواح والعمل على محاربة الإسلام من الكافر، فقد حذر شيخ الإسلام من التكفير بغير دليل شرعي ولا علم، فالتكفير والتفسيق من الأحكام الشرعية فلا ينبغي إطلاقة على أحد بمجرد الهوى أو بقياس عقلي أو نحو ذلك بل هما حق لله ورسوله فلا يطلق أحد هذين الوصفين على أحد إلا بعد استحقاقه له، ويقول في مجموعة الفتاوى : إن الإيجاب والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله ليس لأحد في هذا حكم وإنما على الناس إيجاد ما أوجبه الله ورسوله وتحريم ما حرمه الله ورسوله، ويقول أيضاً :إن مذهب أهل السنة والجماعة عدم تكفير كل من خالفهم واستحلال دمه، لكن من شأن أهل البدع أنهم يبتعدون أقوالاً، يجعلونها واجبة في الدين بل يجعلونها من الإيمان الذي لابد منه ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ و إن كان مخالفاً لهم مكفرا لهم مستحلاً لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان و علي و من والاهما و استحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم.

و لقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الضحاك عن النبي محمد ، قال : ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما .

فإن الغلو أيا كان نوعه لا يجوز، وهو طريق إلى الشرك، واتخاذ الأنداد مع الله، وكل ما يشاع عن تكفير تارك الصلاة أو الفروض فيحتاج إلى معرفة عالم الغيب الخبير بذات الصدور، ويرده الرسول إلى الله، حيث يقضي بين العباد، ويأمر الملائكة بالخروج من النار كل من كان لا يشرك بالله.

وفي أحاديث، يشمل الرسول حتى الجاحد في الفرائض، ويقول : من شهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل. مجموع الفتاوى 7\613–614

وأفضل حديث يستدل عليه علماء الدين، ينفون التكفير عن تارك الصلاة، وحسب ابن تيمية قول النبي محمد : خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ،لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة . (أبو داود ومالك).

خلاصة القول ،علماء داعش وفقهائها لا يعرفون القرآن، ومن يعرفه يخالف قول الله ،فالآيات صريحة ، واستشهدنا بأقوال ابن تيمية الذي يستشهدون ببعض نصوصه ، فهل للدواعش علاقة بالدين ؟.

«ولاية سيناء» تهدد السيـــــسي وتبايع «داعش»

نشرت جماعة «ولاية سيناء» المصرية التي كانت تطلق على نفسها اسم جماعة أنصار بيت المقدس شريطاً مصوراً يوم الجمعة بدا أنه إعلان مسؤولية عن هجوم كبير على نقطة تفتيش عسكرية في محافظة شمال سيناء في شهر أكتوبر قتل فيه عشرات الضباط والجنود وأصيب عشرات آخرون.

ووقع الهجوم يوم 24 أكتوبر/ تشرين الأول مستهدفا نقطة التفتيش العسكرية في منطقة كرم القواديس قرب مدينة الشيخ زويد بشمال سيناء.

وظهر في الشريط المصور رجل يحذر الرئيس عبد الفتاح السيسي من هجمات سوف تشنها الجماعة على قوات الجيش والشرطة في شمال سيناء. وظهر شريط في أسفل الشاشة كتب عليه «الاستشهادي أبو حمزة الأنصاري تقبله الله الغائر على نقطة كرم القواديس العسكرية.»

وكان مهاجم انتحاري بدأ الهجوم على النقطة تلاه مهاجمون آخرون.

لكن الشريط المصور لم يتضمن تاريخ الهجوم على النقطة.

وأطلقت جماعة أنصار بيت المقدس على نفسها اسم «ولاية سيناء» يوم الخميس بعد أيام من إعلانها الانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» الذي استولى على أجزاء واسعة من العراق وسوريا ومبايعة زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي.

وبث الشريط المصور على صفحة على تويتر تنشر فيها أخطر جماعة إسلامية متشددة في مصر بياناتها. وهذا هو أول شريط مصور تبثه الجماعة منذ إعلانها الانضمام إلى الدولة الإسلامية ومبايعة البغدادي. وكان أحد أكبر الهجمات على القوات المصرية منذ سنوات.

وظهر في بداية الشريط المصور انفجار كبير، ثم ظهر مسلحون يهاجمون المكان ويسارعون إلى قتل كل من تقع عليه أعينهم من القوات، ويحرقون أو يغنمون معدات عسكرية. ووقف مسلحان على دبابة رفع أحدهما راية الدولة الإسلامية. وبدت أنحاء من المكان مكدسة بجثث الجنود.

وكان الهجوم الذي أودى بحياة أكثر من 30 من الضباط والجنود دفع الحكومة المصرية إلى إعلان حالة الطوارئ وحظر تجول ليلي في مناطق بشمال سيناء.

ويعتقد أن جماعة أنصار بيت المقدس قد غيرت اسمها بناء على مبايعتها «داعش»، وليس مستبعداً أن نكون هناك اتصالات جارية بين الجماعة وبين تنظيم الدولة الإسلامية، خاصة أن التنظيم بات لديه إمكانات مالية كبيرة يمكن لجماعة «ولاية سيناء» الاستفادة منها، كما أن مبايعة «داعش» يمكن أن تسهم في ضم وتجنيد أعضاء جدد من مصر.

قطار القدس هدف جديد للهجمات مع تدهور الوضع الأمني في المدينة

القدس المحتلة- رويترز:

لو أن هناك هدفا مستمرا ودائما للهجمات خلال الاضطرابات التي شهدتها مدينة القدس على مدى أسابيع.. فهو قطارها الخفيف بمظهره الانسيابي ومساره الذي يتلوى وسط المدينة مجاورا جدرانها العتيقة في رباط رمزي بين قسمها الغربي الذي يغلب اليهود على سكانه وقسمها الشرقي العربي.

ولاقى المشروع الاسرائيلي الفرنسي الذي دشن عام 2011 بعد سنوات من التأخير وتجاوز التكلفة المخصصة له إشادة واسعة، باعتباره بنية تحتية بمواصفات عالمية، ستساعد على تقارب الإسرائيليين والفلسطينيين عبر تشاركهما وسيلة مواصلات عامة.

وعلى الرغم من أن هذا هو ما حصل فعلا مع استخدام نحو 140 ألف راكب – من يهود متشددين إلى عمال فلسطينيين إلى تلميذات مسلمات إلى موظفين إسرائيليين– القطار يوميا مزقت الأشهر القليلة الماضية تلك الصورة الجامعة تمزيقا.

فمنذ قتل يهود الفتى الفلسطيني محمد أبو خضير (16 عاما) في يوليو/ تموز الماضي انتقاما لمقتل ثلاثة فتية يهود، أصبح القطار هدفا لهجمات شبه يومية من جانب شبان فلسطينيين يرشقونه بالحجارة والصخور وقنابل البنزين.

ويبدو مظهر ثلاث من محطات القطار الثلاث والعشرين في حي شعفاط وبيت حنينا الفلسطينيين في القدس الشرقية أشبه بمناطق الحرب الخفيفة مع تكسير مناطق الانتظار، وتحطيم آلات التذاكر، أو نزعها من مكانها وانتشار جنود الشرطة الإسرائيلية المدججين بالسلاح في كل مكان.

وقال ابراهيم صلاح (58 عاما) الذي يدير محل (حلواني) للحلويات والمقابل لمحطة انتظار القطار المحطمة في شعفاط «هناك مشكلة كل يوم.»

وأضاف وهو يطيح بيده «هناك غضب كبير من القطار. إنه يمر من هنا ليذهب للمستوطنات اليهودية. أنشئ لهم وليس لنا.»

وفي الأسابيع الثلاثة الماضية دهس فلسطينيان بسيارتيهما أشخاصا كانوا ينتظرون عند محطتين من محطات القطار على الخط الأخضر الذي يفصل بشكل غير مرئي القدس الغربية عن شرقها منذ عام 1967 ، مما أسفر عن مقتل أربعة وجرح نحو 20. وقتلت قوات الأمن الإسرائيلية الاثنين.

وأسفرت الهجمات عن انخفاض عدد الركاب بنسبة 20 في المئة. وفي إحدى المراحل لحقت بثلث عربات القطار أضراراً تجعلها غير صالحة للاستخدام.

وتحيط حالياً كتل إسمنتية كبيرة بالمحطات العرضة للخطر، ويتجول حراس مسلحون يرتدون سترات واقية في أرصفة المحطات، كما يجوب رجال أمن يحملون البنادق الآلية عربات القطار ويتفحصون الأوجه وبطاقات الهوية أحياناً، ويبحثون عن أي قنبلة قد تكون هنا أو هناك.

أما على متن القطار فهناك يهود على رؤوسهم القلنسوة اليهودية إلى جوار مسلمات محجبات ومزارعين فلسطينيين متجهين إلى السوق وصبية متوجهين إلى المدارس، وكل واحد يتحدث على هاتفه المحمول بالعبرية أو العربية أو الروسية أو الأمهرية أو الإنجليزية. لكن الأمر لا يخلو من نظرات جانبية وأخرى متفحصة تكشف عن توتر ولحظات إحباط كتلك التي حدثت حين أوقفت الشرطة فلسطينياً وأمرته بإظهار بطاقة هويته.

ويفضل السياح هذا القطار كونه وسيلة نقل سريعة توصلهم في نهاية أحد خطوطه إلى متحف ياد فاشيم لضحايا النازية وإلى سوق ماهاني يهودا الشهير في وسط خط سيره فضلا عن مشاهد تجذب الأنظار للمدينة القديمة على طول طريقه.

لكن الكثير من الشبان الفلسطينيين يرون أنه مبعث للكراهية والغضب، كونه يمر عبر حيين فلسطينيين ليصل إلى محطته النهائية في الشمال الشرقي إلى مستوطنة بسكات زئيف اليهودية.

قال عبد الرحمن –وهو شاب في الثامنة عشرة من عمره– كان يتجول قرب محطة شعفاط بينما كان شرطي اسرائيلي يراقبه من الجهة الأخرى للشارع «إنه قطار عنصري. أستخدمه لكن لا أحبه».

مشروعية التمعن في كتابات ياسين الحافظ (٢)

أولوية الفكري والسياسي

■ د. عبد الله تركماني (*)

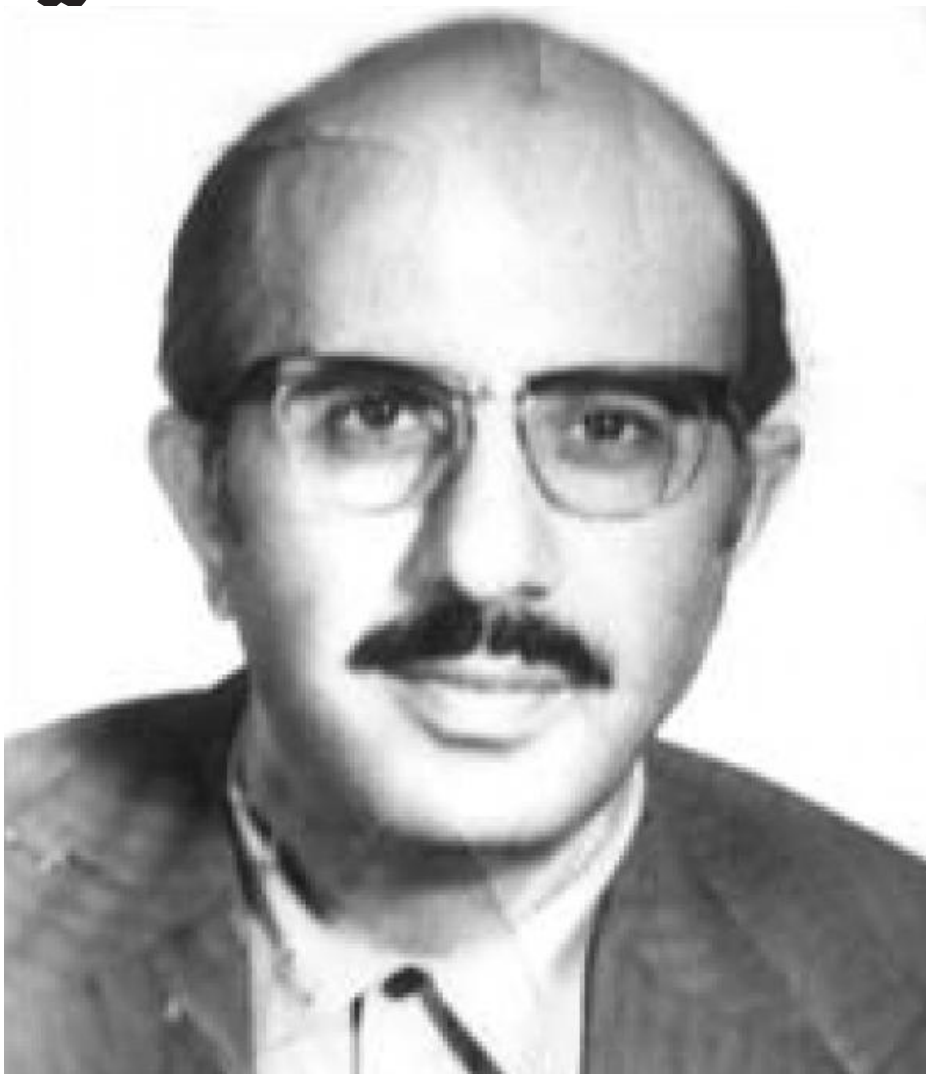

كان ذلك ثمرة تطور وعي الحافظ باتجاه امتلاك قانون " حكم الواقع "، كبديل عن قانون " حكم القيمة "، مما أتاح له إنتاج وعي مطابق لواقع المجتمعات المتأخرة التي يسبق فيها الأيديولوجي مجمل العناصر التكوينية لوجودها، وهو بذلك يتفق مع عبد الله العروي وسمير أمين وماكس فيبر بأولوية الأيديولوجي في مجتمعات التأخر، مما أتاح له تفكيك المنظومات الساكنة، الإيمانية، التقليدية للماركسيات العربية في صورتها الحزبية المؤسساتية. ومن جهة أخرى، في صدد حديثه عن مظاهر التأخر في المجتمعات العربية، ومقارنته بين التأخر السياسي والأيديولوجي والعسكري والاقتصادي، رأى " أنّ البنية السياسية أشد تأخراً من سائر بنى المجتمع الأخرى، رغم أنّ التأخر الأيديولوجي يكمن في أساس تأخر السياسي... ".

وخلافاً للمنطق القومي العربي التقليدي وللمنطق الماركساوي العربي المسفيت، انطلق الحافظ من أنّ الأقطار العربية متفاوتة، لا من حيث حجمها ومستوى تطورها الاجتماعي والاقتصادي والحضاري فحسب، بل متباينة أيضاً من حيث مكوناتها التاريخية، ومن حيث بنية المجتمع ومدى تلاحمه، ومن حيث عمق الترضيض والحضور الإمبرياليين، وبالتالي من حيث إمكانات التقدم ومدى نضوج النزوع الوحدوي. فالعالم العربي فيه ما يمايز وما يماثل، ما ينبذ وما يحفّز، فيه المتأخر جداً والمتأخر والأقل تأخراً (ولكن ليس فيه ما هو متقدم البتة، فالعالم العربي كله عالم مفوّت) وفيه الفقر الذي يقترب من التسول والغنى الذي يذكّر بالأسطورة القارونية.

ومن جهة أخرى، فإننا عندما نتحدث عن طبقات في المجتمعات العربية إنما نفعل ذلك على سبيل التقريب، فلم " تشهد مجتمعاتنا لا الإقطاعية ولا الرأسمالية في صيغتيهما الأوروبية، والبنى التقليدية ما قبل البورجوازية والتطور الرأسمالي المحدود والمشوَّه مازالت تحجز الاستقطاب الطبقي. لذا فإنّ ما نسميه طبقات هو، في الواقع، بالأحرى فئات اجتماعية متشابكة ومتفاوتة في السُلّم الاجتماعي، تتصارع فيما بينها وتمارس الواحدة إزاء الأخرى اضطهاداً ما أو استغلالاً ما ".

ومن الخصوصيات العربية التي ركّز عليها الحافظ السياق التاريخي الذي تشكلت فيه الهوية العربية، إذ قال: إنّ العنصر الحاسم كان ثقافياً " دور الإسلام كحاضنٍ ورحَم لتكون الأمة ". إضافة إلى خصوصية أخرى هي نمط " الاستبداد الشرقي " الذي يشكل امتداداً للمخزون الثقافي الجمعي، الذي يحكم اللاشعور المعرفي للمجتمعات التي تحكم الأيديولوجيا سيرورة تَشَكُّلها وتطورها، وحيث أنّ الأيديولوجي والسياسي في المجتمعات المحيطية كالمجتمعات العربية، ما يزال يلعب دوراً وازناً تارة وحاسماً تارة أخرى. ولم يكن الحافظ يهدف إلى تأييد هذه الخصوصيات، بوصفها خاصيات لاصقة بهوية الأمة، بل بوصفها ظواهر لابدَّ من استقرائها، ليكون من الممكن بناء تصوّر قادر على استنباط البدائل الضرورية التي تفرضها حاجات الواقع العربي إلى التقدم.

إنّ هذه الخصوصيات الثقافية التي كانت امتيازاً تاريخياً ساعد الأمة في الحفاظ على كينونة وجودها رغم كل التحديات التي واجهتها، غدت، من منظور تاريخي، عقبة أمام انتقال المجتمع من مرحلة " الملّة الدينية " إلى مرحلة " القومية الحديثة ".

لقد استخدم الحافظ مصطلح " التأخر " بديلاً عن مصطلح " التخلف "، لما ينطوي عليه التأخر من معنى نهضوي أبعد من التخلف كمصطلح تقني – اقتصادي، واستخدم مصطلح التأخر كمدخل مفهومي أساسي لتوصيف الواقع العربي، فضلاً عن إغناء القاموس النظري والسياسي العربي بمصطلحات ذات دلالات عميقة.

وقد ترتب على مفهومه للتأخر العربي صياغة أخرى رائدة لمصطلح " الفوات " الذي يشرح معناه بأنه " خارج تسلسل وتاريخ الأحداث "، ويدفع به ليتمفصل في السياق الثقافي والاجتماعي التاريخي العربي، وذلك بأنّ " الشعوب التي تعيش حالة الفوات هي التي يشكل وجودها في عصر معينٍ ضرباً من غلطة تاريخية أو مفارقة تاريخية، باعتبار أنها تعيش في مرحلة تخطتها شعوب أخرى ... الشعوب المفوتة هي الماضي ملقى على هامش الراهن أو الحاضر، هي التي تعيش في غير عصرها ".

لقد اعتبر الحافظ التأخر هو المسألة المركزية في الواقع العربي المعاصر، لذلك انتقد " المنظور التنموي " الذي توهَّم بإمكانية دخول العصر و" تجنّب الثورة القومية الديمقراطية " التي دشنت العصر الحديث من خلال قلبها وتصفيتها المجتمع التقليدي القديم، وعبر هذه التصفية أمكنها أن ترسي بنى المجتمع الحديث المجتمعية والأيديولوجية والسياسية وإطلاق قواه الإنتاجية. إنّ هذه المنظورات التنموية هي " ضرب من محاولة عمل زركشة تحديثية على سطح مجتمع قديم مفوّت "، وقد استنتج من تجارب الشعوب المتقدمة أنه " ما من شعب حقق تقدماً اقتصادياً دون أن يكون قد حقق تقدماً مجتمعياً وثقافياً وسياسياً ". واستناداً إلى استقرائه لتاريخ الفكر السياسي العربي الحديث وجد أنّ جماع السياسة العربية متأخر، فالتأخر كامن في البنية السياسية العربية، ليس في المنطق اليميني فحسب، ولا يقتصر على الأقليات العربية الحاكمة " لسنا إزاء أخطاء فحسب بل إزاء تأخر، لسنا إزاء سياسات يمينية فقط بل سياسات لا عقلانية، لسنا إزاء تأخر الأقليات المهيمنة فقط ، بل إزاء تأخر البنية السياسية العربية بجماعها. وبكلمة: إنها سياسات قرية في عالم المدن ". ومن هنا ألحَّ على الحاجة إلى الثورة القومية الديمقراطية التي لا تستدعيها نظرية المراحل، بل تستدعيها لا عقلانية السياسة العربية بجماعها، يمينها ويسارها.

إنّ التأخر العربي العام جعل العقل العربي، حسب ياسين الحافظ، وكأنه " برميل بلا قعر، لا يجمع ولا يراكم، مع كل صباح نبدأ تجربة جديدة، وننسى تجربة البارحة، كما لا نفكر باحتمالات الغد. على الدوام نبدأ من جديد وكأننا ولدنا اليوم، أشبه بفئران عاجزة عن اكتشاف أنّ المصيدة تصيد ".

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث " – دبي